علوم الأحاديث النبوية الشريفة

د. عبد الرحمان طالب *

هذا الموضوع طويل الذيل؛ يشتمل على بضعةِ عناوين فرعية، ولذا سيقدم على حِصص متتابعة في هذه المجلة القيمة، وسيقدم للقراء-إن شاء الله- على طريقة: سؤال وجواب وبالله التوفيق، ومن جملة الحصص التي ستقدم في هذا الموضوع:

1- الفروق الجوهرية بين الحديث، والحديث القدسي، والسنة، والخبر، والأثر.

2- التدوين العفوي للحديث النبوي، والتدوين الرسمي ومنهجية كل منهما.

3- منهجيات تصنيف كتب الأحاديث، من الكتابة على جلد الغزال إلى الأنترنيت وقد بلغت حوالي خمسة عشر.

4- التعريف بمؤلفات الأحاديث النبوية الكبرى التي تشتمل على عشرة آلاف حديث، وعشرين ألف حديث، وثلاثين ألف، وأربعين ألف، وخمسين ألف،هذه الخمسة مطبوعة في كتب، وثَمةَ مؤلف يحمل وحده مائتين وخمسين ألف حديث نبوي، وهذا الأخير عبارة عن قُرص يُحمل في الجيب ولا يضيق صاحبه بحمله ذَرعا.

---

* *عضو بالمجلس الإسلامي الأعلى و أستاذ الحديث بجامعة وهران*

ومن جملة الحصص أيضا حصة استنباط العلوم الإسلامية من الأحاديث النبوية. وبالله التوفيق.

الحصة الأولى

أولا- ما الحديث النبوي الشريف؟

الحديث النبوي الشريف، اختلف في تعريفه العلماءُ حَسَب اختلافِ فُنونِهم وأغراضِهم:

أ- فعلماء الحديث النبوي بَحثوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الإمام الهادي-الذي أخبر الله عنه أنه إسوة لنا وقُدوة[1] فنقلوا عنه كلَّ ما يتصل به من سيرة وشمائل، وأخبار، وأقوال، وأفعال، سواءٌ أثْـبَتَ ذلك حُكمًا شرعيا أم لا.

ب- وعلماء الأصول بحثوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المُشَرِّع الذي يَضَع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبيِّن للناس دُسْتور الحياة، ولذلك عُنوا بأقواله، وأفعاله، وتقريراته التي تُثبت الأحكامَ التشريعية، وتُقَرِّرها.

ج- وعلماء الفقه إنما بَحثوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي تدُل أفعالُه على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوبا، أو حرمة أو إباحة، أو غير ذلك. إذاً مما تقدم يتلخص لدينا ما يلي:

---

[1] قال الله تعالى: *"لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة"*، سورة الأحزاب: 21.

أ- الحديث عند علماء الحديث: هو كل ما أُثر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول، أو فِعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية، أو خُلُقية، أو سيرةٍ سواء أكان ذلك قبل البِعثة كتَحَنُّثه في غار حِراءَ أمْ بعدها.

ب- الحديث عند علماء أصول الفقه هو: ما صدر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- غير القرآن الكريم، من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلا لحُكم شرعي.

أمّا القول فهو أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم- التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات، فترتب على ذلك حكم شرعي، كقوله صلى الله عليه وسلم:"لا وَصِيّةَ لوارثٍ"[1] وقوله: "هو الطَّهور ماؤُه الحِلُّ ميتته"[2].

وأمّا الفعل فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- مثل أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، ومثل أدائه -صلى الله عليه وسلم- مناسك الحج، وقضائه بالشاهد واليمين[3] وما إلى ذلك. وأما التقرير فكل ما أقره الرسول -صلى الله عليه وسلم- مما صَدر عن

---

[1] الحديث في الجامع الصغير للحافظ السيوطي رقم 9933، ورمز إلى حسنه، وذكر الحافظ المناوي اختلاف المحدثين فيه، فمنهم من قال: أسانيده ظاهرة الصحة، وقال المناوي: إذا انضم بعض طرقه لبعض قوي.

[2] أخرجه الإمام مالك في موطإه حديث رقم 42

مالك، المُوطأ، كتاب الطهارة، باب الطهور للوضوء، حديث رقم12، ج1، ص22

محمد فؤاد، قال: رواه أبوداود في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور والنسائي في كتاب الطهارة، باب ماء البحر.

[3] انظر سبل السلام الجزء4 صفحة131

بعض أصحابه من أقوال وأفعال؛ بسكوت منه وعدم إنكاره ،أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده، فيُعتَبَر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه خرج رجلان في سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيداً طيبًا، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يُعِد الآخرُ، ثم أتيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يُعِد: أصبتَ السنة، وقال للآخر: "لك الأجرُ مرتيْن"[1].

ثانيا- ما الفروق بين الحديث والخبر والأثر؟

الحديث لغة الجديد من الأشياء، والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير، والجمع أحاديث كقطيع وهو شاذ على غير قياس.

وجاء في القرآن الكريم: ***(إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسَفًا)***[2] عُني بالحديث القرآن الكريم، وقوله تعالى: ***(وأما بنعمة ربك فحدث)***[3] أي بَلِّغْ ما أرسلتَ به.

فالحديث والخبر في اللغة مترادفان من وجه، وقد تطور استعمال هذا اللفظ، وأصبح يطلق على نوع خاص من الأخبار في الأوساط الدينية، بدون أن يخرجه ذلك عن معناه العام، يقول ابن مسعود:" إن أحسن الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم"، وهكذا أصبح القرآنُ أحسنَ الحديث، ثم حُدّد معنى الحديث

---

[1] *أنظر سبل السلام الجزء1 صفحة97 والحديث رواه أبوداود والنسائي.*

[2] *سورة الكهف الآية: 6.* [3] *سورة الضحى الآية: 11.*

أخيرا بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا الصحابي أبو هريرة – رضي الله عنه– قال:" يا رسول الله، مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال له الرسول: لقد ظننتُ يا أبا هريرة ألا يسألَني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لِما رأيتُ من حِرصك على الحديث"[1].

ثالثا– هل الحديث النبوي يرادف السنة النبوية

الحديث يرادف السنة عند جمهور المحدثين، وإن كان بعضهم يُفَرِّق بينهما، فيَرَى الحديث ما ينقل عن النبي –صلى الله عليه وسلم– والسنة ما كان عليه العمل المأثور في الصدر الأول، ولذلك قد ترِد أحاديثُ تخالف السنةَ المعمولَ بها، فيلجأ العلماء حينئذ إلى التوفيق والترجيح، وعلى ذلك يُحمل قولُ عبد الرحمن بن مهدي: "لَمْ أر أحداً قَطّ أعلمُ بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حَمّاد بن زيد"[2].

وكذلك قولُه عند ما سُئلَ عن سفيان الثوري والأوزاعي ومالك [قال]: "سفيان الثوري إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، والأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث، ومالك إمام فيهما[3].

ومما يدل على أن السنة هي العمل المتبع في الصدر الأول قول الإمام علي كرم الله وجهه للسيد عبد الله بن جعفر عندما جَلَد شارب

---

[1] *الحديث أخرجه الإمام البخاري، انظر فتح الباري الجزء1 صفحة4.، وانظر السنة قبل التدوين للعلامة محمد عجاج الخطيب مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى 1383هـ–1963م صفحة 19.*

[2] *السنة قبل التدوين المرجع السابق صفحة19.*

[3] *نفس المرجع السابق.*

الخمر أربعين جلدة: "كُفّ، جَلَد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أربعين، وأبو بكر أربعين، وكمّلها عمرُ ثمانين، وكلٌّ سُنة"[1].

وأمّا الأثر فيطلق عند المحدثين على المرفوع والموقوف من الأخبار إلا أن فقهاء خُراسان يسمون الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر.[2]

وإلى هذه التعاريف يشير الحافظ السيوطي في ألفية علم الحديث فيقول:

والمَتنُ ما انتهَى إليه السّنَد ... من الكلام، والحديثَ قيّـــدوا

بما أضيفَ للنبيِّ قـــولاً أوْ ... فعلا وتقريرًا ونحوَها حَكـــوْا

وقيل: لا يختص بالمرفوع ... بل جاء للموقوفِ والمقطوع

فهو على هذا مُرادفُ الخبَر ... وشَهّروا شمولَ هذيْن الأثَر

رابعا- ما الفروق الجوهرية بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي؟

قال الشيخ تقي الدين بن السبكي في جمع الجوامع: "الكتاب القرآن"، والمعنى به هنا اللفظ المترل على محمد صلى الله عليه وسلم، للإعجاز بسورة منه، المتعبَّد بتلاوته.[3]

وأما الفرق بين القرآن والحديث القدسي، فإن القرآن لفظه ومعناه من عند الله بوحي جَلِيّ، وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند

---

[1] *نفس المرجع صفحة 20*

[2] *المرفوع ما أضيف للنبي صلى الله عليه وسلم، والموقوف، ما أضيف للصحابي رضي الله عنه والمقطوع ما أضيف للنبي المرفوع وما لتابع هو المقطوع.*

[3] *جمع الجوامع الكتاب الأول المتعلق بالقرآن.*

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعناه من عند الله تبارك وتعالى، بالإلهام أو المنام. ومن الفروق بين القرآن والحديث القدسي[1]:

1- القرآن معجزة باقية على مَر الدهور محفوظة من التغيير والتبديل متواترة اللفظ في جميع الكلمات والحروف والأسلوب.

2- حرمة روايته بالمعنى بخلاف الحديث فتجوز روايته بالمعنى.

3- تسمية القرآن قرآنا.

4- التعبد بقراءته بكل حرف منه عشر حسنات.

5- تعيّن القرآن في الصلاة.

6- حرمة مَس القرآن للمحدث بخلاف الحديث القدسي.

7- تسمية الجملة منه آية.

والأحاديث القدسية هي ما نقل إلينا آحادًا عنه -صلى الله عليه وسلم- مع إسناد لها عن ربه عزوجل فهي كلامه تعالى، فتضاف إليه تعالى وهو الأغلب، ونسبتها إليه تعالى حينئذ نسبة إنشاء؛ لأنه المتكلم به أولا، وقد تضاف إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنه المخبر بها عن الله تعالى بخلاف القرآن، فلا يضاف إلا إليه سبحانه.

وتسمّى الأحاديث "القدسية" نسبة إلى الطهارة والتنزيه، وتسمى "الربانية" و"الإلهية" ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية في كيفية من كيفيات الوحي، بل يجوز أن تنزل بأية كيفية من كيفياته كرؤيا النوم، والإلقاء في الرُّوع، وعلى لسان المَلَك"[2].

---

[1] *السنة قبل التدوين صفحة 22 الهامش*

[2] *انظر حظيرة التقديس وذخيرة التأنيس لعلي بن عتيق.*

ولرواياتها صفتان: -إحداهما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه وهي عبارة السلف، ثانيتهما أن يقول: قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمعنى واحد.

أما باقي الأحاديث الأخرى فهي وإن كانت من عند الله تعالى؛ لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- "وما ينطق عن الهَوَى، إنْ هو إلا وحْي يوحَى" إلا أنها لم تُضَف إلى الله، وهو مما أخبر الله به نبيه بالإلهام أو بالمنام بغير واسطة، فأخبر أمته بعبارة نفسه، ومما يؤيد قول من قال: أن الأحاديث كلَّها بوحي قولُه صلى الله عليه وسلم:"ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"[1].

وقد جمع الحافظ جلال الدين السيوطي خمسا وستين حديثا من الأحاديث القدسية في كتابه الجامع الصغير. حرف القاف.

وقال السيد علي بن عتيق: "فمنهم مَن اقتصر منها على الأربعين، ومنهم مَن بلغها إلى الثمانين..." [2].

وقال السيد جمال الدين القاسمي[3]... ما ورد مِن الأحاديث الإلهية، وتسمى "القدسية"[4] وهي أكثر من مائة، وقد جمعها بعضهم في جزء كبير...".

---

[1] انظر حظيرة التقديس صفحة 3. وانظر القرطبي والألوسي في تفسيريهما لقوله تعالى: "وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى" من سورة النجم.

الموسوعة لعبد الرحمن طالب في كلمة " أريكته" رقم الحديث 52، ج2، وقالت:أخرجه أبوداود، ك السنة، باب5، عون المعبود، ج12، ص 354، وقال: أخرجه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحديث أبي داود أتم من حديثهما

[2] حظيرة التقديس صفحة 2. [3] قواعد التحديث صفحة 64.

[4] القدس بضم القاف و قد تسكن بمعنى الطهر (معجم متن اللغة).

أما العلامة السيد أبو النصر علي بن عتيق الحسيني البخاري القنوجي فقد ألف كتابا خاصا بالأحاديث القدسية جمع فيه نحو 220 حديثا وقال فيها: "هذه بحمد الله مستندة إلى مخرجيها مع أسماء رواتها.." وسمى كتابه هذا حظيرة التقديس، وذخيرة التأنيس، ورتب الأحاديث فيه على الأبواب: الإيمان، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، البيوع والشركة، الإمارة والهجرة، الجهاد، ذكر الله وتلاوة القرآن، التوبة، الاستغفار، الخوف من الله، اللباس والطعام والشراب، ثم الرقاق والأدب، قيام الساعة، جهنم، الجنة، رؤية الله تعالى. نسأل الله أن يكرمنا بالحسنى والزيادة [1].

وأحسن كتاب في الأحاديث القدسية من حيث الشمولية والتصحيح والتعليقات الحسنة ما قام به المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بوزارة الأوقات المصرية وقد جمعوا فيه أربعَمِائَةِ حديث قدسي، وسمّوا الكتاب "الأحاديث القدسية" [2].

خامسا- هل كل ما قاله الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو فعَلَهُ يُعتبَر حديثا أوسنة؟

عندما طلب الله تعالى من عباده أن يَقتدوا بهذا النبي العظيم، ويجعلوه أسوة لهم في أمورهم الدينية والدنيوية باستثناء خصوصياته.

---

[1] *حظيرة التقديس مطبوع ولكن اسم المطبعة وتاريخ الطبع غير موجودين وهو بخزانتي.*

[2] *الطبعة الثالثة قامت بها القاهرة عام1402هـ-1981عدد صفحاته 291 من القطع الكبيرة*

وبما أن الله تعالى قال لعباده : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحْبِبْكم اللّه) [1]، وحيث أن الله تعالى قال لعباده: (لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة) [2]، وحيث كان ذلك كذلك فمعناه أن الله تعالى أرسل لعباده رسولا نموذجاً فريدا من نوعه، كامل الخَلْق والخُلُق، معصوما من صَغيرِ الزلات وعِظَمِها؛ لا يصدر عنه أي شيء يخالف الشرع.

ولا يمكن أبدا، ولا يَتأتّي، ولا يُعقل أن يُنسبَ للرسول الأعظم، والمُشرِّع الأكرم أدْنَى خطإ، أو جهل، أو قصور أوتقصير، فكيف وقد أمَرَنا الله باتباعه والاقتداءِ به، وقد طَمْأَنَ الله عباده، بأن ما يصدر من رسوله -صلى الله عليه وسلم- إنما هو وحْي يوحَى إليه، وليس هو -أبدا- من قَبيل التشهّي والهَوَى والنّظر قال الله تعالى: (وما يَنطق عن الهَوَى، إنْ هو إلا وحْيٌ يوحَى) [3].

سادسا- متى شُرع في تدوين الأحاديث النبوية؟

هذا السؤال إذا ما طرح على المؤرخين أجابوا باتفاق وقالوا:" إن أول مَن جمع الأحاديث النبوية هو الحافظ أبو بكرمحمد بن مسلم...بن شهاب الزهري بأمر من الخليفة العدل السيد عمر بن عبد العزيز في أواخر القرن الأول للهجرة النبوية، ولذا قال الحافظ جلال الدين السيوطي في ألفيته:

أوّلُ جامع الحديثِ والأثَر ابنُ شهابٍ آمراً له عمر.

---

[1] سورة آل عمران: 31.

[2] سورة الأحزاب: 21 . [3] سورة النجم : 3.

ولكن هذا التاريخ لايعني بداية تسجيل الأحاديث النبوية إنما هو التسجيل الرسمي الذي كانت تشرف عليه الحكومة الإسلامية في كافة المعمورة، أمّا بداية التسجيل الفردي العفوي فقد ظهر منذ ظهورالأحاديث النبوية على يد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ولا يُعقل أبداً أن يُهمِل الصحابةُ الكرام -رضوان الله عليهم- كتابة الحديث النبوي كل هذه المدة [1] وهم الحريصون على سماع أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعرفة أفعاله وتقريراته واهتماماته، وصفاته.

سابعا- ما الأسباب التي منعت كتابة الأحاديث النبوية بصفة رسمية مثل ما كُتب القرآن الكريم؟

يقول الخطيب البغدادي: "إن كراهة الكتاب في الصدر الأول؛ إنما هي لئلا يُضاهَى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه.

وقد وردت أحاديث تأمر بكتابة الحديث، ووردت أحاديث أخرى تنهَى عن ذلك، وقد بلغت أحاديث النهي عن الكتابة ثمانيةَ عشر حديثا، ولكن لا يوجد من بينها حديث صحيح إلا حديث الصحابي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لاتكتبوا عني، ومَن كتب عني غير القرآن فلْيَمْحُه، وحدثوا عني ولاحرج، ومن كذب عليّ فليتبوّأ مقعده من النار" [2]، وهذا النهي وقع في أول الأمرحتى يتفرغ المسلمون لحفظ القرآن، ويكثر القُرّاء، فإذا

---

[1] *أي مدة مائة وثلاثَ عشرة سنة(113) لأن الأحاديث ظهرت مع البعثة النبوية قبل الهجرة بثلاثة عشر سنة، والتسجيل الرسمي المشار إليه كان في عهدالخليفة عمر بن عبد العزيزالمتوفى عام 101هـ*

[2] *مسلم: الصحيح؛ كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم 72*

انتشرحفظ كتاب الله اشتغلوا بالسنة النبوية، وفي تلك الحالة يأمن المسلمون من الالتباس بين القرآن والسنة النبوية.

وقد ثبت الأمر بكتابة الأحاديث في خمسة وثلاثين حديثا، وهي في مجموعها: إما صحيحة أو حسنة، ولا يوجد من بينها حديث واحد موضوع أو متروك أبداً [1]، ومن الأحاديث التي تأمر بكتابة الحديث حديث السيد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي يقول فيه: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أريدحفظه، فنهتني قريش"، فقالوا: "إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم- بَشَر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حَق" [2].

ثامنا-كم عدد أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم- وعلى آله؟

لا يمكن لأي مُحدِّث أو حافظ أو حاكم أن يُحدِّد بدقة عددَ أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- لكون الرواة الذين سمعوا من الرسول -صلى الله عليه وسلم-أو شاهدوا عمله كثيرون جدا، وقد تفرقوا في مختلف البقاع الشاسعة،و لم تكن الأحاديث، تاريخ ذاك، مسجلة

---

[1] *انظر كتاب سنة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد الحافظ المصري ص47-68*

[2] *مسند ابن حنبل، وقال محققه السيد أحمدشاكر: إسناده صحيح. وقال العلامة البنا في شرحه للمسند: أخرجه أبوداود، والحاكم، وقال: هذا حديث حسن صحيح الإسناد. كتاب العلم، الجزء 1، ص 172*

في كتب أو سجلات إلا قليلا، إنما كانت سِجلاتهم صدورَ الرجال، ومع ذلك لم يَضِعْ من السنة أي شيء؛ لأن الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- نقلوا كل ما عَلِموه أو سمِعوه من الرسول -صلى الله عليه وسلم- مباشرة وبأمانة إلى التابعين.

يقول السيد محمد عجاج الخطيب [1]: "ويمكننا أن نقول -ونحن واثقون مطمئنون- أن السنة في عهد الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانت محفوظة عند الصحابة جنباً إلى جنبٍ مع القرآن الكريم، وإن كان نصيبُ كل صحابي منها يختلف عن نصيب الآخر، فمنهم المكثر ومنهم المُقِل، ومن ثَمَّ يمكن أن نجزم بأن الصحابة رضوان الله عليهم قد أحاطوا بالسنة جميعها، وقاموا بنقلها إلى التابعين.

ويُخطئ مَن يَدّعي أن بعض السُّنن فاتَ الصحابة الكرام بعد أن رأينا مَدَى عنايتهم بها، وحِرصِهم عليها، فكيف يغيب عنهم شيء منها؟ وهم الذين صحِبوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نيفا وعشرين عاما قبل الهجرة وبعدها، فحفِظوا عنه أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته وحركتَه وسكونَه، وقيامَه وقُعودَه، واجتهادَه وعبادتَه، وسيرتَه وسراياه ومغازيه، ومزاحَه وزجْرَه، وخُطبه وأكلَه وشُربَه، ومُعاملتَه أهلَه، وتأديبَه فرسَه، وإرسالَ كتبه إلى المسلمين والمشركين، وعهودَه ومواثيقَه، وصفاتَه الجسمية والخُلُقية، هذا سِوى ما حفِظوا عنه من أحكام الشريعة، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام، أو تحاكَموا فيه إليه فكانوا بحق خيرَ خَلفٍ لخيرِ سَلَف رضي الله عنهم.

---

[1] *السنة قبل التدوين صفحة 67.*

قلت: لا يُمكن حصرُ كل الأحاديث النبوية الشريفة؛ لكون الكتب التي ألفت في الحديث لا زال الكثير منها في رفوف المكتبات العالمية تنتظر مَن يقوم بنشرها. كما أن هناك كتباً ضخمة مثل مُصنف بَقِيّ بن مَخْلَد وأضرابه توزّعت أجزاؤها عَبْر مكتباتِ العالَم، ويَصعُب جمعُ شَمْلِها[1].

وإليك ما قاله الدكتور صبحي الصالح في هذا الموضوع[2]: "لقد صُنّفتْ في الحديث كتبٌ كثيرة وصل الينا بعضها، ولم يصل بعضها الآخر، ولا يزال عدد كبير منها مخطوطا في المكاتب العالمية... وكان ينبغي أن تكون كتب الحديث بهذه الكثرة، لأن مجموعة الأحاديث النبوية يتعذر إحصاؤها وضبطها في كتاب يجمعها مهما يكن هذا الكتاب ضخما عظيما".

وقال الحافظ المناوي في الفيض[3]: "وفي تاريخ ابن عساكر عن أحمد، صح من الحديث سبعُمائة ألفٍ وكَسْرٍ[4] وقال البخاري: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح.

---

[1] نعم يصعب جمعها، وهذا مثل للصعوبة، كنت أبحث عن مسند أبي عوانة وقد علمت أنه يشتمل على خمسة أجزاء، فعثرت على الجزء الرابع والخامس فقط في القاهرة، ثم عثرت بعدذلك بسنوات الجزء الأول والثاني في المدنية المنورة، ثم عثرت بعد ذلك في مكة المكرمة الجزء الثالث وغلافه مغاير للأجزاء الأخرى التي امتلكتها، وليس له رقم ليعرف به أهو الأول أم الثاني، وإنما كتب على غلافه مايلي: هذا هو الجزء المفقود.

[2] انظر علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ص 115.

[3] انظر فيض القدير للمناوي الجزء1 ص 24 فما فوق.

[4] فسر البيهقي هذا العدد الكبير بقوله أراد أصد من الأحاديث، وأقاويل الصحابة والتابعين، أنظر علوم الحديث ومصطلحة للدكتور صبحي الصالح ص 79.

وقال أبو زرعة: كان أحمد يحفظ ألْفَ ألْفِ حديث نبوي، وقال مسلم: "صَنفتُ الصحيح من ثلاثمائة ألفِ حديث ..."، وقال أبوداود: "كتبت خمسَمائة ألفِ حديث.." [1].

ولا يستبعد -نقلا ولا عقلا- أن تبلغ أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- مائتي ألف حديث ونيفاً كما أشار إلى ذلك الحافظ السيوطي بل يمكن أن تكون سبْعُمائة ألفِ حديث وكسراً كما أشار إلى هذا العدد ابن عساكر

أمّا النقل فأنت ترى ما كان يحفظه الأئمةُ أبو زرعة، وأحمد بن حنبل، البخاري، أبو داود، ومسلم، وغيرهم

وكذا الحافظ الحسن بن أحمد السمرقندى ألّف كتابا سماه بحر الأسانيد وجمع فيه مائة ألف حديث

وهذا الحافظ زيد الدين العراقي ذكر في كتابه فتح المغيث قال[2]: أن أبا زرعة الرازي قيل له: أليس يقال حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- أربعة آلاف حديث؟ قال: ومَن قال ذا؟ قَلْقَلَ اللّه أنيابَه، هذا قولُ الزنادقة، ومَن يَحصي حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قُبِضَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن مائةِ ألفٍ وأربعةَ عشَر ألفًا من الصحابة ممن رُويَ عنه وسمِع... فقيل له : هؤلاء أين كانوا؟ وأين سمعوا

---

[1] *سأضع جدولا يجمع أسماء 69 مصدرا بأسمائهم وتاريخ ولادتهم ووفياتهم وأسماء جملة من كتبهم وعدد أحاديث كل مصدر لهم*

[2] *فتح المغيث على ألفية العراقي في المصطلح الجزء 3 ص 20.*

منه؟ قال: أهل المدينة، وأهل مكة ومَن بينهما، والأعراب، ومن شهد معه حِجة الوداع؛ كلٌّ رآه وسمِع منه بعَرفَةَ".

ويقول السيد صبحي الصالح[1] : "وجدير بالذكر أنه (أي عبد الرحمن السيوطي) كان يقول:" أكثر ما يوجد على وجه الأرض من الأحاديث النبوية القولية والفعلية مائتا ألف حديث ونيّف" وأما العقل فيعترف هو الآخر بهذا العدد للأسباب التالية:

1- الرسول -صلى الله عليه وسلم- عاش في النبوة ثلاثا وعشرين سنة، وكل ما عمِلَه أو قالَه أو أقَرَّ عليه، أو هَمَّ به في هذه المُدّة إلا ويُعتبر سُنةً كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

2- الخطب التي خطبها في الجُمُعات والأعياد والاستسقاء والكسوف والجهاد والمناسبات، تُعَدّ بالمئات.

3- الرسائل والعقود التي قام بها تشتمل كلٌّ رسالة منها أو عَقْد على مجموعة من الأحاديث.

4- تفسير القرآن الكريم، فإن العلماءَ[2] يَذكرون بأن المُفَسِّر الأولَ للقرآن من البشر هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بمجرد انتهاء تلقي القرآن الكريم من رب العالمين، يُبلِّغه طريًّا كما أُنزل، ثم يشرع في تبيانه مباشرة بأحاديث

---

[1] *علوم الحديث ومصطلحه صفحة 116.*

[2] *أنظر كتاب التفسير والمفسرون لمحمد حسين هيكل الجزء1 ص.49-57 فانه عرض خلاف العلماء في كون الرسول -صلى الله عليه وسلم- فسر كل معاني القرآن أو اقتصر على بعضها.*

كثيرة تبيانا للقرآن الكريم عَمَلاً بقوله تعالى: "وأنزلنا إليك الذكر لتُبَيِّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهم" [1].

5- أحاديث الأحكام التشريعية التي كان يقدمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تعليمًا لأصحابه، وحَلاًّ لمشاكلِهم اليومية، وهي وحدَها تبلغُ نحوَ أربعةِ آلاف حديث أو تزيد[2].

6- الوعظ والإرشاد والآداب العامة والخاصة التي كان يقوم بها -صلى الله عليه وسلم- أو يُقدمُها في شكل حِكَم ومَواعظَ وأخلاقٍ مع الضيوف الواردينَ عليه، ومَع أصحابه المُقيمين معه، ومع زوجاته، ومع الصِّبيان والخَدَم والعَبيد وغير ذلك.

7- الأذكارُ والدّعواتُ وما يُقال في المُناسبات وهي كثيرة جدا، وقد جمعَ الحافظان الإمام النّووي في الأذكار، والطبراني في كتابه الدعاء آلاف الأحاديث النبوية.

8- أوصافه الخَلقية والخُلقية التي سجلها له الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

عاشرا-كَمْ عَددُ مُؤلّفات السنة النبويّة؟

طرح عليّ هذا السؤال عدة مرات، في جامعة وهران، وفي المجلس الإسلامي الأعلى، وفي قصر الثقافة بالجزائر أيام المولد النبوي لعام

---

[1] سورة النحل، الآية 44

[2] قال السيد عفيف طبارة في روح الدين الاسلامي ص 457 فإن عدد آيات القرآن نحو ستة آلاف يصل المتعلق منها بالأحكام نحو مائتي آية، أما مجموع أحاديث الأحكام فيقرب نحو أربعة آلاف حديث.

1421هـ وقد طرح نفس السؤال علينا في مناسبات متعددة، والإجابة كانت كالتالي:

لايعلم أحد من البشر عدد المؤلَّفات الخاصة بالأحاديث النبوية لايحصيها أحد إلا العليم الخبير. وإذا كان الكثير منا يَحسَب بأن الكتب التي سميت باسم الصحيح هما صحيحا البخاري ومسلم فقط؛ إذا كان يعتقد ذلك ويجزم به فإنه لم يكن دقيقاً في الحساب، بل الكتب التي سميت باسم الصحيح عددها سبعة أو تزيد وهي:

صحيح البخاري، صحيح مسلم، صحيح ابن حِبان، صحيح ابن خُزيمة، صحيح ابن السَّكَن، صحيح ابن الشرقي.الصحيح المنتقى لابن السكن. وبعضها أصح من بعض.

الموطأ. والموطأ أيضا ليس موطأ واحدا، بل هناك سبعُ موطآت أو تزيد وهي: موطا ابن أبي ذئب، موطأ القعنبي، موطأ الليثي، موطأ مالك بن أنس، موطأ ابن الحسن الشيباني، موطأ أبي مصعب، الموطأ لعبدان.

المنتقى. مِن كتب الأحاديث النبوية كتب المنتقى أي المختارة، وعددها خمسة أو تزيد هي: منتقى ابن الجارود وهو الشهير،منتقى ابن الملقن، منتقى ابن اصبغ، منتقى المخلص، منتقى ابن تيمية(الجد).

المغازي. من كتب الحديث: السِّيَر المغازي، وهي ثمانية أو تزيد: المغازي للأموي، المغازي لابن شهاب، المغازي لابن عائد، المغازي لابن إسحاق، المغازي للمعتمر البصري، المغازي لموسى بن عقبة المدني، المغازي للواقدي، مغازي الأخبارللعيني.

السُّنن. من كتب الحديث النبوي كتب السنن وهي كثيرة، سجل العلامة الكتاني واحدا وأربعين مؤلفا كلها تسمى السُّنن. ومن كتب الحديث النبوي كتب "الزوائد"، ويوجد منها أكثر من اثني عشر مؤلَّفا. ومن كتب الحديث النبوي كتب "العوالي"، ويوجد منها أكثر من خمسةَ عشر مؤلفا. ومن كتب الحديث النبوي "الغرائب"، ويوجد منها أكثرمن أربعة عشر مؤلفا في هذا الموضوع. ومن كتب الحديث النبوي "الفضل والفضائل"، ويوجد منها حوالي إحدى وثلاثين مؤلفا في هذا الموضوع. ومن كتب الحديث النبوي كتب "الفوائد" ويوجد منها أربعة وعشرن مؤلفا في هذا الموضوع. ومن كتب الحديث النبوي كتب "المختصرات"، ويوجد منها حوالي أربعة وعشرين مؤلفا. ومن كتب الحديث النبوي "المستخرجات"، ويوجد منها تسعة وثلاثين مستخرجا. ومن كتب الحديث النبوي "المسلسلات"، ويوجد منها بضعة عشر مسلسلا، ومن كتب الحديث النبوي "المساند" وهي كثيرة جدا، والمشهور منها مسند الإمام أحمد بن حنبل وقد سجل العلامة الكتاني مائةً وستةَ مؤلفات في موضوع المساند.

وهذه موسوعة الأحاديث النبوية الكبرى للدكتور عبد الرحمن طالب وحدها قد ضمت بين جنباتها سبعون مصدرا، وهذه المصادر اشتملت على مائتين وخمسين جزءاً، وهذه الأجزاء جمعت حقا مائتين وثلاثةً وخمسين ألفاً وخمسةً وخمسين حديثاً نبويّاً وهي لازالت تقول: هل من مزيد؟ والله المستعان.